أحمد مطر

إنّي المشنوق أعلاه



أحمد مطر

إني المشنوق أعلاه

١٩٨٩

الطبعة الأولى
تموز (يوليو) ١٩٨٩
لندن

Ahmed Matar
P.O.Box: 213
Wembley HA9 9QQ
England
(U.K)

المُوجَز

لَيسَ في النّاسِ أمانْ .
لَيسَ للنّاسِ أمانْ .
نِصفُهُمْ يَعمَلُ شرطيّاً لدى الحاكمِ
.. والنصفُ مُدانْ !

أحمد مطر

ما قبل البداية

كنتُ في (الرَحْمِ) حزيناً
دونَ أن أعرفَ للأحـزانِ أدنى سببِ!
لَمْ أكنْ أعـرفُ جنسيَّـةَ أُمّي
لم أكنْ أعـرفُ ما دينُ أبي
لم أكنْ أعلمُ أنّي عَـرَبي !
آهِ . . لو كنتُ على عِـلْمٍ بأمـري
كُنتُ قَطَّعْتُ بنـفسي (حَبْـلَ سِـرّي)
كُنتُ نَفَّـسْتُ بنفسي وبـأُمّي غَضَبي
خَوفَ أن تَمْـخُضَ بي
خَوفَ أن تقـذفَ بي في الوطـنِ المغتـربِ
خَوفَ أن تحبـلَ من بَعْـدي بغيـري
ثُـمَّ يغـدو ـ دونَ ذنبٍ ـ
عربيّـاً . . في بـلادِ العَـرَبِ !

علامة الموت

يَـومَ مـيـلادي
تَعَـلَّقَتْ بأجـــراسِ البُـكاءْ
فـأفاقَتْ حُـزَمُ الـوردِ ، عـلى صوتي ،
وفَـرَّتْ في ظَـلامِ البـيتِ أسـرابُ الضِيـاءْ
وتــداعى الأصدقــاءْ
يَتَقَصَّونَ الخَبَــرْ .
ثُـمَّ لَمَّـا عَـلِموا أنيّ ذَكَـرْ
أجهشـوا . . بالضحـكِ ،
قـالوا لأبي ساعـةَ تقديـمِ التهـاني :
يـا لَهـا من كبريـاءْ
صوتُـهُ جـاوزَ أعنـانَ السَمـاءْ .
عَظَّـمَ اللّهُ لكَ الأجْـرَ
عـلى قَـدْرِ البَـلاءْ!

الختـــان

ألبسوني بُـــرْدَةً شَفّافَـــةً
يَومَ الخِتـــانْ .
ثُـــمَّ كـانْ
بَـدءُ تاريـخِ الهَوانْ !
شَفَّتِ البُـــرْدَةُ عن سِـــرّي ،
وفي بِضْـعِ ثوانْ
ذَبَحـوا سِـرّي .
وسـالَ الدَمُ في حِجْـري
فقـامَ الصـوتُ من كُلِّ مكـــانْ :
ألفَ مبـــروكٍ
. . وعُقـــبى لِلِّســـانْ !

توبــة

صـاحبي كـانَ يُصَــلِّي
- دونَ تــرخيصٍ -
ويتـلو بعضَ آيــاتِ الكتـابْ .
كان طفــلاً
ولذا لــم يَتعــرَّضْ للعقـابْ .
فلقـد عَـزَّرَهُ القـاضي
. . وَتــابْ !

مرسوم

نحنُ لسنــا فُقَــراءْ .
بَلَغَتْ ثَـروتُنــا مليونَ فَقْــرٍ
وغـدا الفَقْـرُ لدى أمثالِنـا
وصفـاً جديـداً للثَّـراءْ !
وَحْـدَهُ الفقـرُ لدينـا
كانَ أغنى الأغنيـاءْ !

* *

بَيتُنـا كانَ عــراءْ .
والشبـابيـكُ هـواءٌ قــارسٌ
والسقفُ مــاءْ!
فشكونـا أمـرَنا عنـدَ وَليِّ الأمـرِ
فـاَغتـمَّ
ونــادى الخبــراءْ

وجميعَ الـوزراءْ
وأُقيمت نَـدوةٌ واسعـةٌ
نُوقِش فيهـا وَضْعُ (إيـرْلَنـدا)
وأنفُ (الجيوكنـدا)
وفَسـاتينُ (أميـلدا)
وقضـايا (هونـو لـولـو)
وبطولاتُ جـيوش الخُلفـاءْ !
ثُـمَّ بَعْـدَ الأخْـذِ والـرَّدِّ
صباحـاً ومَسـاءْ
أصـدرَ الحاكـمُ مرسوماً
بإلغـاءِ الشتـاءْ !

مَلْحُوظَة

تَرَكَ اللّصُّ لنا ملحوظةً
فَوَقَ الحَصِيرْ
جَاءَ فيها :
لَعَنَ اللّهُ الأميرْ
لم يَدَعْ شيئاً لنا نَسَرقهُ
.... إلاّ الشَخِيرْ

الرحمة فوق القانون!

ذاتَ يــومٍ
رقَـصَ الشعبُ وغَــنّى
واحتسى بَهجَتَــهُ حتّى الثمالَـةْ
إذ رأى أوَّلَ حالَــةْ
تَنْعَـمُ البَـلدةُ فيهـا بالعــدالَةْ :
زَعَـموا أنَّ فتىً سَبَّ نِعـالَهْ
فــأحالوهُ الى القــاضي
ولـم يُعْــدَمْ
بــدعوى شَتْــمِ أصحــابِ الجـلالَةْ !

تبلـــيط !

رَصَفوا البَــلْدَةَ ، يومــاً ،
بالبَـــلاطْ
ثُــمَّ لَمّـا وَضَعوا فيــهِ المِـلاطْ
مَنَعوا أيَّ نَشــاطْ .
فـآلتــزَمْنا الــدورَ
حتّى يتــأتّى للمُــلاطْ
زمَنٌ كـافٍ لكي يَــلصُقَ جِــدّاً
بالبِـــلاطْ !

مجهود حربي

.

لأبي كانَ مَعــاشٌ
هو أدنى من معــاشِ المَيّتــينْ !
نصفُـهُ يَـذهَبُ للدَّينِ
ومــا يَــبقى
لغـوثِ اللاجئــينْ
ولتحريــرِ فلســطينَ من المُغتصبــينْ
وعــلى مَـرِّ السنــينْ
كانَ يــزدادُ ثَـراءُ الثائــرينْ !
والثـرى ينقصُ من حــينٍ لحينْ
وسُيوفُ الفتـحِ تَنــدَقُّ الى المِقــبَضِ
في أدبــارِ جيشِ (الفــاتحينْ)
فَتَــلِينْ
ثُـمَّ تنــحَلُّ الى أغصــانِ زيتونٍ

وتَنــحَلُّ الى أوراقِ تــينْ
تتــدلّى أسفـلَ البَطــنِ
وفي أعــلى الجَبــينْ !
وأخيــراً قَبــلَ النــاقِصُ بالتقسيــمِ
فآنشقَّتْ فَلَســطينُ الى شقّيــنِ :
للثـوّارِ : فَــلْسٌ
ولإِســرائيلَ : طِيــنْ !

* *

وأبي الحــافي المَــدينْ
أبيَ المغصوبُ من أخمــصِ رجليــهِ
الى حبــلِ الوَتينْ
ظَـلَّ - لا يــدري لمــاذا -
وَحْــــدَهُ
يَقبـضُ باليُســرى ويُلْقي باليَمــينْ
نفقــاتِ الحــربِ والغوثِ
بأيــدي الخلفـاءِ الشــاردينْ !

بَدائـــل

فَتَحتْ شُبّــاكَها جارَتُنــا .
فَتَحتْ قــلبي أنــا .
لَمْحــةٌ . .
وانــدلعتْ نــافورةُ الشمــسِ
وغــاصَ الغـدُ في الأمــسِ
وقــامتْ ضجّــةٌ صامتـةٌ مـا بيننــا !
لَــمْ نَقُــلْ شيئـاً . .
وقُلنــا كُلَّ شيءٍ عِندنــا !

* *

- يـا أباهــا المؤمنـا
سـالت النـارُ من الشُّبّـاكِ
فـافتحْ جَنَّـةَ البـابِ لنـا .
يـا أباهــا إنّنـا . .

ـ لَستُـــمْ على مذهبِنـــا .

ـ لكنّنـــا . . .

ـ لَستُـــمْ ذوي جـــاهٍ

ولا أهـــلَ غِنَى .

ـ لكنّنـــا . . .

ـ لَستُـــمْ تَليقونَ بِنـــا .

ـ لكنّنـــا . .

ـ شَـرَّفْتَنـــا !

* *

أُغـــلِقَ البـــابُ . .

وظَـلَّتْ فتحـةُ الشُبّـاكِ جُـرْحاً فاغِـــراً

يَنـزِفُ أشـــلاءَ مُنى

وخيـالاتِ انتحـــارٍ

ومواعيـــدَ زِنى !

جَدليَـة

كـانَ جـاري
مُلْحــداً
لكنَّــهُ يُؤمِنُ جــداً
بـأبي ذَرٍّ الغِفـاري .
ويَــرى انَّ الغِفــاري
« بــروليتــاريْ » !
رائـدٌ للاشتـراكيَّـةِ في هـذي
الصحــاري !
كـانَ جـاري
يَضَعُ الـراكِبَ من تحتِ الحمـارِ !
قُـلتُ : هـذا رَجُــلٌ آمَنَ باللّهِ
وقـد جاهَـدَ في اللّهِ
بـأمـرِ اللّهِ .

فِي عَصْـــرِ الغُبـارِ
قَبـلَ تدليـكِ « الديـالكتيكِ »
أو عَصْـرِ آلبخـارِ !
قـالَ : إنْ صَــحَّ وجـودُ اللهِ ،
فـــاللّهُ إذَنْ . .
أوَّلُ موجـــودٍ يَســاري !

العهد الجديد

كان حتَّى الإكتِئــابْ
غارقــاً في الإكتئــابْ
فَجـميعُ النــاسِ في بلدتِنــا
بينَ قَتيــلٍ وَمُصــابْ
والّذي ليسَ عـلى جُثَّتـهِ بصمـةُ ظُفْـرٍ
فعـلى جُثّتـهِ بَصمـةُ نـابْ
كُلُّنـا يحمـلُ خَتْـمَ الدولةِ الرسميَّ
من تحتِ الثيــابْ !

* *

ذاتَ فَجــرٍ
مـادتِ الأرضُ
وَسـادَ آلإضطــرابْ
واستفـزَّ النـاسَ من مَرْقَدِهــمْ

صوتٌ مُجَنْـــزَرْ :

(تُـمْ تِـرَمْ اللّهُ أكبَـرْ

تُـمْ تِـرَمْ اللّهُ أكبَـرْ)

إنقـــلابْ .

تُـمْ تِـرَمْ تَـمْ . . .

وانتهى عَهْـدُ الكِـلابْ !

* *

بَعْـدَ شَهْـرٍ

لَمْ نَعُـدْ نخـرجُ للشـارعِ لَيْـلاً

لَمْ نعُـدْ نَحْمِـلُ ظِـلاً .

لَمْ نَعُـدْ نَمْشي فُـرادى .

لَمْ نَعُـدْ نَمْـلِكُ زادا .

لَمْ نَعُـدْ نفـرحُ بالضيفِ

إذا ما دُقَّ عنـدَ الفجـرِ بـابْ

لَمْ يَعُـدْ للفجـرِ بـابْ !

* *

فُـصٌّ مِلْحِ ٱلصُبـحِ

في مُسْتَـنقَعِ الظُلْمـةِ ذابْ .

هـذهِ الأنجُـمُ أحْـداقٌ

وهـذا البَـدرُ كَشّـافٌ

وهـذي الريحُ سَـوطٌ

والسمـاواتُ نِقـابْ !

تُـمْ

تِـرَمْ

تَـمْ

كُلّنـا من آدمٍ نحـنُ

ومـا آدمُ إلّا من تُـرابْ

فَوقَـهُ تَسـرحُ . . قِطعـانُ الذئـابْ !

حبيبُ الشِعبْ

صورةُ الحاكـمِ في كُلِّ اتّجـاهْ
أينَمـا سِرْنا نـراهْ !
في المقـاهي
في المـلاهي
في الوزاراتِ
وفي الحـاراتِ
والبـاراتِ
والأسـواقِ
والتلفـازِ
والمسـرحِ
والمـبغى
وفي ظاهـرِ جـدران المصحّـاتِ
وفي داخـلِ دوراتِ الميـاهْ .

أينَمـا سِـرْنا نَــراهْ !

* *

صورةُ الحاكـمِ في كُلِّ اتّجـاهْ
باسِـــمٌ
في بَـلَدٍ يبكي من القهـرِ بُكـاهْ !
مُشْــرِقٌ
في بَـلدٍ تلهو الليـالي في ضُحـاهْ !
نـاعِـمٌ
في بَـلدٍ حتى بَلايـاهُ
بـأنواعِ البلايـا مبتـلاهْ !
صـــادحٌ
في بَـلدٍ مُعتَقــلِ الصَوتِ
ومنــزوعِ الشِّفَــاهْ !
ســالــمٌ
في بَـلدٍ يُعْــدَمُ فيـهِ النـاسُ
بـالآلافِ ، يوميّـاً ،

بـدعوى الإشتبـاهْ

* *

صورةُ الحاكـمِ في كُلِّ اتّجـاهْ
نِعمـةٌ منهُ عَلَينـا
إذْ نَـرى ، حين نــراهْ ،
أنَّـهُ لَمَّـا يَـزَلْ حَيَّـاً
. . ومـا زِلنـا على قيـدِ الحَيـاهْ !

إصلاح زراعي !

قـرَّرَ الحاكِـمُ إصـلاحَ الزراعَـةْ .
عُيِّنَ الفَـلاَّحُ شُرطيَ مُـرورٍ ،
وٱبنـةُ الفـلاَّحِ بيّـاعةَ فولٍ ،
وٱبنـهُ نـادِلَ مقـهى
في نقـابـاتِ الصناعَـهْ !
وأخيـــراً
عُيِّنَ المحـراثُ في القِسـمِ الفُـولوكْلوريِّ
والثـورُ . مُديـراً للإذاعَـهْ !

* *

قَفْــزةٌ نَوعيَّـةٌ في الإقتصـادْ
أصبحتْ بَلدتُنــا الأولى
بتصديـرِ الجَــرادْ
وبإنتـاجِ المجاعــةْ !

صَاحِبَة الجَهَالَة !

مَـرَّةً ، فَكَّـرتُ في نَشْـرِ مَقـالْ
عن مآسي الإحتـلالْ
عن دفـاعِ الحجـرِ الأعـزلِ
عن مِدفَـعِ أربـابِ النضـالْ !
وعن الطِفـلِ الذي يُحـرَقُ في الثورةِ
كي يَغـرَقَ في الثـروةِ ، أشبـاهُ الرِّجـالْ !

* *

قَـلَّبَ المسؤولُ أوراقي ، وقـالْ :
إجتَنِبْ أيَّ عبـاراتٍ تُثيـرُ الإنفعـالْ .
مَثَـلاً :
خَفِّـفْ (مـآسي)
لِـمَ لا تَكْـتُبُ (مـاسي) ؟
أو (مُـواسي) ؟

أو (أمـــاسي) ؟
شَكْلُهـا الحاضـرُ إحـراجٌ لأصحابِ الكـراسي !
إحْـذِفْ (الأعْـزَلَ)
فالأعْـزَلُ تحـريضٌ على عَـزْلِ السـلاطينِ
وتعـريضٌ بِخَـطِّ الإنعـزالْ !
إحْـذِف (المِـدفعَ) . .
كي تـدفعَ عنكَ الاعتقـالْ .
نحنُ في مرحــلة السِّلم
وقـدْ حُـرِّمَ في السِّـلْم القتـالْ
إحْـذِفِ (الأربـاب)
لا ربَّ سوى اللّهِ العظيــمِ المُتَعــالْ !
إحـذفِ (الطِفــلَ) . .
فـلا يحسُنُ خـلْطُ الجِـدِّ في لُعْبِ العيـالْ !
إحـذفِ (الثــورةَ)
فالأوطــانُ في افضلِ حــالْ !
إحـذفِ (الثــروةَ) و (الأشبــاهَ)

ما كُلُّ الذي يُعْـرَفُ ، يا هـذا ، يُقـالْ !
قُلتُ : إنّي لستُ إبـليس
وأنتـمْ لا تُجاريكم سوى إبليس
في هـذا المجـالْ .
قـالَ لي : كانَ هُنـا . .
لكنَّـهُ لم يتأقـلَمْ
فـاستقـالْ !

المعجزة !

مـاتَ خـالي !
هكـــذا ! !
دونَ اغتيــالِ !
دونَ أن يُــشنَقَ سهـواً !
دونَ أن يسقـطَ ، بالصدفــةِ ، مسمومـاً
خــلالَ الإعتقــالِ !
مـاتَ خـالي
ميتـةً أغـربَ مِمّـا في الخيـالِ !
أسْـلَمَ الروحَ لعزرائيـلَ سِـرّاً
ومضى حُـرّاً . . محـاطاً بالأمـانِ !
فدفنّـــاهُ
وعُدْنـا نَتَـلقّى فيـهِ من أصحابِنـا
. . أسـمى التهـاني !

المُنشَقّ !

أكثرُ الأشياءِ في بَلدتِنا
الأحزابُ
والفقرُ
وحالاتُ الطلاقِ .
عِندَنا عَشْرةُ أحزابٍ وَنِصفُ الحِزب
في كُلِّ زُقاقِ !
كلُّها يَسعى الى نَبْذِ الشِّقاقِ !
كلُّها يَنشَقُّ في الساعةِ شقّينِ
وَينشقُّ على الشَّقّينِ شقّانِ
وَينشقّانِ عن شَقَّيْهما . .
من أجلِ تحقيقِ الوفاقِ !
جَمَراتٌ تتهاوى شَرَراً
وَالبَرْدُ باقِ

ثُـمَّ لا يبقى لها
إلّا رَمَـادُ الإحتـراقِ !

* *

لمْ يَعُـدْ عنـدي رفيقٌ
رُغْـمَ أنَّ البـلْدَةَ اكتظَّتْ
بآلافِ الرفـاقِ !
ولـــذا
شَكَّلتُ من نَفسيَ حِزبـاً
ثُـمَّ انّي
ـ مثلَ كلِّ النـاسِ ـ
أعـلنتُ عن الحـزبِ انشقـاقي !

الجريمة والعقاب

مَـرَّةً ، قـالَ أبي :
إنَّ الذُبــابْ
لا يُعــابْ .
إنَّـهُ أفضَـلُ مِنَّـا
فَهوَ لا يقبَـلُ مَنَّا
وهـو لا ينكِصُ جُبْنـا
وهوَ إنْ لمْ يـلقَ ما يـأكُلُ
يَستَوفِ الحســابْ
يُـنشِبُ الأرجُـلَ في الأرجُـلِ
والأعيُــنِ
والأيــدي
وَيجتــاحُ الرِّقــابْ .
فَـلَهُ الجِـلْدُ سِمـاطٌ

الغريبْ

كُلُّ ما في بـلدتي
يَمـلأُ قـلبي بـالكَمَـدْ .
بَـلدتي غُربـةُ روحٍ وجَسَـدْ
غربـةٌ من غيـرِ حَـدّْ
غربـةٌ فيهـا المـلايينُ
ومـا فيهـا أحَـدْ .
غربـةٌ موصولـةٌ
تبـدأُ في المهْـدِ
ولا عودةَ منهـا . . للأبدْ !

* *

شِئتُ أن أغتـال مَوتي
فَتسـلّحتُ بِصوتي :
أيُّهـا الشِعـرُ لقـد طالَ الأمَـدْ

أهلَكَتْني غُـربتي ، يا أيُّهـا الشِعـرُ ،
فـكُنْ أنتَ البَـلَدْ .
نَجِّني من بـلدةٍ لا صوتَ يَغشـاها
سـوى صـوتِ السـكوتْ !
أهلُهـا موتى يخـافونَ المنـايا
والقبورُ انتشـرتْ فيهـا عـلى شَكْلِ بُيوتْ
مـاتَ حتّى المـوتُ
. . والحاكـمُ فيهـا لا يموتْ !
ذُرَّ صوتي ، أيُّهـا الشِعـرُ ، بُروقـاً
في مفـازاتِ الرَمَـدْ .
صُبَّـهُ رعـداً عـلى الصمتِ
ونـاراً في شـرايينِ البَـرَدْ .
ألْقِـهِ أفـعى
الى أفئـدةِ الحُكّـامِ تسعى
وآفـلِقِ البحـرَ
وأطبِقْـهُ على نَحْـرِ الأساطيـلِ

وأعنـاقِ المساطيـلِ
وَطَهِّـرْ من بقاياهُـمْ قَـذاراتِ الزَبَـدْ .
إنَّ فرعـونَ طغى ، يا أيُّهـا الشِعـرُ ،
فـأيقِـظْ من رَقَـدْ .
قُـلْ هُوَ اللّهُ أحَـدْ
قُـلْ هُوَ اللّهُ أحَـدْ
قُـلْ هُوَ اللّهُ أحَـدْ .

* *

قـالَها الشِعــرُ
وَمَـدَّ الصوتَ ، والصوتُ نَفَـــدْ
وأتى من بَعْـدِ بَعـدْ
واهنَ الـروحِ مُحاطـاً بالرَصَـدْ
فوقَ أشــداقِ دراويشٍ
يَمُـدُّونَ صـدى صوتي عـلى نحـريَ
حبـلًا من مَسَـدْ
ويصيحـونَ « مَـــدَدْ » !

مَا بَعدَ النهَايَة

إنَّــني المشنوقُ أعـلاهُ
عـلى حبـلِ القـوافي
خُنتُ خوفي وآرتجـافي
وَتعـرَّيتُ من الـزيفِ
وأعـلنتُ عن العهْـرِ انحــرافي .
وآرتـكبتُ الصِـدقَ كيْ أكـتُبَ شِعــرا
واقتـرفتُ الشِعـرَ كَيْ أكتُبَ فجــرا
وَتَمَـرَّدتُ عـلى أنظمـةٍ خَــرفى
وحُكَــامٍ خِــرافِ .
وعــلى ذلِكَ . .
وَقَّـعْتُ اعتــرافي !

إني المشنوق أعلاه

الخطوط والاخـراج :
بهيـج عنـداري

مجموعات أحمد مطر الشعرية

ـ لافتات 1	طبعة أولى ١٩٨٤ طبعة ثانية ١٩٨٧
ـ لافتات 2	طبعة أولى ١٩٨٧
ـ ما أصعب الكلام (قصيدة الى ناجي العلي)	طبعة أولى ١٩٨٧
ـ لافتات 3	طبعة أولى ١٩٨٩
ـ ديوان الساعة	طبعة أولى ١٩٨٩



شِئتُ أن أغتـالَ مَوتِي
فَتسلَّحتُ بِصوتي :
أيُّها الشِعرُ لقد طالَ الأمَدْ
أهلَكَتْني غُربتي ، يا أيُّها الشِعرُ ،
فكُنْ أنتَ البَلَدْ .
نَجِّني من بلدةٍ لا صوتَ يَغشاها
سوى صوتِ السكوتْ !
أهلُها موتى يخافونَ المنايا
والقبورُ انتشرتْ فيها على شَكْلِ بُيوتْ
ماتَ حتّى الموتُ
.. والحاكمُ فيها لا يموتْ !

احمد مطر